ملامح اتجاهات التفسير عند الجزائريين إبان الحكم العثماني

- قراءة تحليلية لتراث الحقبة العثمانية في الموسوعة الثقافية لأبي القاسم سعد الله –

إعداد: الدكتور منصر عباس + الأستاذة كروش مريم. ((جامعة الوادي))

البريد الإلكتروني: abbasimam4@gmail.com

الملخص:

في ظل فقدان أغلب التراث التفسيري الجزائري لسبب أو لآخر من جهة ومع بقاء جزء كبير منه حبيس خزائن المخطوطات المفهرسة والغير مفهرسة من جهة ثانية يأتي هذا البحث محاولة لوصف ملامح اتجاهات التفسير الجزائري إبان الحقبة العثمانية، فمن خلال تصورات الدكتور أبي القاسم سعد الله المبنية على قرائن ومؤشرات مساعدة على معرفة الاتجاهات العامة للمفسرين الجزائريين في هذه الفترة، ومن خلال التمهيد والمبحث التعريفي بأهم الأعلام المفسرين الذين ذكرهم سعد الله في الفترة العثمانية وكذا المبحث التطبيقي المحتوي على أهم تصوراته لاتجاهات التفسير الجزائري في هذه الفترة.

تبين أن تصورات وافتراضات الشيخ سعد الله حتى وإن كانت تخمينات مبنية على الغالب أعطت صورة على الظروف السياسية والإجتماعية والثقافية والاقتصادية التي رسمت المنحى العام لاتجاهات التفسير عند الجزائريين، كما تحكمت في نظر الدكتور سعد الله خلفية المفسر العلمية والفكرية والوظيفية في توجيه هذه الاتجاهات والتي غلب عليها كل من الاتجاه الصوفي والاتجاه اللغوي طيلة قرون الوجود العثماني في أرض الجزائر.

- **مقدمة:**

الحمد لله رب العالمين والعاقبة الحسنى للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله وبعدُ:

فبحكم الواجب الأخلاقي المنوط بالنخب المتخصصة تجاه تراث مفسرينا الأفذاذ، وبالنظر للحاجة الماسة لدراسة اتجاهات التفسير عند الجزائريين عبر القرون المتعاقبة، رغبت في الإدلاء بدلوي كواحد من هذه النخبة للقيام بجزء من هذا الواجب وقضاء لهذه الحاجة، فجاءت هذه الورقات البحثية محاولة مني للمشاركة في ملتقى ((اتجاهات التفسير في التراث التفسيري الجزائري معالم ومقاصد)) والمنظم من قبل كلية أصول بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، واخترت المحور الثاني الذي يرصد ((التفاسير الجزائرية إبان الحكم العثماني أعلامها واتجاهاتها)) فوقع اختياري على تصورات الدكتور أبو القاسم سعد الله حول اتجاهات التفسير عند الجزائريين في الفترة العثمانية والتي بثها في موسوعته الثقافية حول تاريخ الجزائر العلمي والثقافي فكان عنوان البحث المقترح: **ملامح اتجاهات التفسير عند الجزائريين إبان الحكم العثماني**

- **قراءة تحليلية لتراث الحقبة العثمانية في الموسوعة الثقافية لأبي القاسم سعد الله –**

دوافع اختيار الموضوع:

- اهتمام أبي القاسم سعد الله بحركة التأليف في التفسير والمساهمين في دروسه، تدفع الباحث للوقوف على أفكاره الوصفية وجهوده الاستقرائية في تتبع تراث المفسرين الجزائريين.
- اعتبار الموسوعة الثقافية لسعد الله مجالا فسيحا للكلام حول اتجاهات التفسير عند الجزائريين في الفترة العثمانية.
- فقدان أغلب التراث التفسيري الجزائري في هذه الفترة بسبب الممارسات الإستعمارية، ووقوف أبي القاسم الله على مخطوطات كثيرة في الشرق والغرب ونقله واستفادته منها في وصف التفاسير الجزائرية واتجاهات أصحابها، يدفع الباحث للوقوف على هذه المحاولة علّها تزيل الهوية في عدم اتضاح ملامح اتجاهات التفسير عند الجزائريين في هذه الفترة.
- رجوع أبي القاسم سعد الله إلى كثير من كتب التاريخ والتراجم واستفادته منها في الحكم على مناهج المفسرين واتجاهاتهم، وهذا يدفع بالباحث لدراستها.

إشكالية البحث:

والإشكال الرئيس الذي يدور حوله البحث: ما هي جهود الأستاذ أبي القاسم سعد الله في الإشارة للاتجاهات التفسير عند المفسرين الجزائريين في الفترة العثمانية؟ وما هو الاتجاه الغالب عليها؟ وتندرج تحت هذه الإشكالية تساؤلات فرعية:

- ما هي مصادره في هذه التصورات والأحكام حول هذه التفاسير واتجاهات أصحابها؟
- وما هي المؤشرات والقرائن التي بنى عليها الأستاذ كلامه حول هذه الاتجاهات؟

منهج البحث:

وللإجابة عن هذه الإشكالية اتُبع **المنهج الوصفي** المناسب لاستخراج تصورات الأستاذ سعد الله حول اتجاهات التفاسير الجزائرية إبان الحكم العثماني **والمنهج التحليلي** المناسب للتحليل هذه التصورات لاستخراج تلك المؤشرات التي بنى عليها الدكتور سعد الله تصوراته حول اتجاهات التفاسير الجزائرية في هذه الفترة.

الدراسات السابقة:

كان للدكتور عيساوي قصب السبق في الكتابة حول جهود علماء الجزائر في علم التفسير في الفترة العثمانية (اطروحة دكتوراه نوقشت بجامعة باتنة1 سنة 2016 بإشراف الدكتور منصور كافي حفظه الله)

وبث الدكتور عيساوي جملة من مناقشاته للشيخ سعد الله وافق من خلالها على بعض تصورات سعد الله وناقشه في بعضها الآخر، وجاءت هذه الورقات مخصصة لتحليل هذه التصورات حول اتجاهات التفاسير الجزائرية واستخراج المؤشرات التي بنيت عليها للوصول إلى الملمح العام الذي طبع اتجاهات التفسير عند الجزائريين إبان الحكم العثماني.

خطة البحث: قسم البحث إلى:

- **مقدمة:** فيها تمهيد ودوافع اختيار البحث وذكر الدراسات السابقة ومنهج البحث وخطته.
- **مبحث تمهيدي:** فيه عرفت باتجاهات التفسير، وبينت تأثير الدولة العثمانية في الحركة الثقافية في الجزائر، وختمته ببيان مصادر الدكتور سعد الله في آرائه حول اتجاهات التفسير عند الجزائريين في الفترة العثمانية.
- **المبحث الأول:** أبرز أعلام التفسير الجزائريين في الحقبة العثمانية عند أبي القاسم سعد الله.
- **المبحث الثاني:** : اتجاهات التفسير عند الجزائريين في منظور الأستاذ سعد الله.
- **خاتمة:** فيها أهم النتائج.
- **قائمة أهم المصادر والمراجع.**

• مبحث تمهيدي:

سنمهد لهذه الدراسة بفك مغاليق العنوان بشيء من الاختصار؛ ذلك أن التفصيل في قضايا علمية مطروقة ومعلومة يعتبر مثلبة ومنقصة، وحسبي أن أوطّئ لموضوع بحثي لألج إلى صلبه، فأقول مستعينا بالله راجيا منه العون على الإتمام.

أولا: تعريف اتجاهات التفسير.

سأقتصر على تعريف اتجاهات التفسير كلقب أو مركب إضافي للاختصار لكون معاني كل من كلمة الاتجاه وكلمة التفسير معروفة في اللغة والاصطلاح، فأما مفهوم اتجاهات التفسير فقد عرّفت بعدة تعاريف أشهرها تعريف الدكتور فهد الرومي؛ إذ يقول: " الاتجاه في التفسير هو الهدف الذي يتجه إليه المفسرون في تفاسيرهم ويجعلونه نصب أعينهم وهم يكتبون "[1].

[1] بحوث في أصول التفسير ومناهجه: فهد الرومي، ط:4، مكتبة التوبة، الرياض، 1419هـ، ص55.

ويعرفه الأستاذ محمد إبراهيم الشريف بقوله: " مفهوم الاتجاه يُحدد أساسا بمجموع الآراء والأفكار والنظرات والمباحث التي تشيع في تفسير معيّن بصورة أوضح من غيرها، وتكون غالبة على غيرها يحكمها إطار نظري... وتعكس بصدق مصدر الثقافة التي تأثر بها صاحب التفسير ولونت تفسيره بلونها "[1].

ويذهب مفكر آخر إلى أن " الاتجاه في التفسير هي الميزات والخصائص الفكرية التي تميّزت بها بعض التفاسير تبعا لما يحمله المفسر من نزعات وميول مسبقة تترك آثارها في تفسيره وتوجهه "[2].

بناء على هذا المفهوم المتقارب بين هذه التعاريف فقد صبغت اتجاهات التفسير في الجزائر إبان الحكم العثماني بصبغ شتى وتلونت بألوان متباينة حكمتها خلفيات المفسرين العلمية والفكرية والمذهبية وتحكمت فيها الظروف السياسية والإجتماعية للبلد آنذاك، وفي الجزء التطبيقي من هذا البحث سنورد آراء الدكتور سعد في المبحث الثاني ففيها يظهر تباين اتجاهات التفاسير الجزائرية.

ثانيا: تأثير الدولة العثمانية في الحركة الثقافية في الجزائر

امتد التواجد العثماني في الجزائر أكثر من ثلاثة قرون من 920هـ إلى 1246هـ، وكان التواجد العثماني في الجزائر في شكل حماية وتحالف مع دويلات المغرب لصدد أطماع الأوربيين في التوسع على حسابها خاصة بعد سقوط غرناطة سنة 897هـ آخر معاقل بلاد الأندلس سقوطا[3].

ولكن لم يلبث أن ترسّخ في أذهان العثمانيين أن هذه الحماية تشكل عوائد استراتيجية واقتصادية وزراعية وكذا زادت من نفوذ الدولة العثمانية في منطقة غرب حوض المتوسط فعملت كل الأساليب لإطالة أمد هذه الحماية وبقاء سلطانها أطول مدة ممكنة، فأثر ذلك في الحركة الثقافية في الجزائر ومنها التأليف في التفسير، إذ يتحدث الدكتور سعد الله عن نقص نتاج الجزائريين في تفسير القرآن في الفترة العثمانية بعدما قارنه بغزارته في القرن التاسع قبل مجيئ العثمانيين، وذلك لجملة من الأسباب منها[4]:

- عدم تشجيع السلطان العثماني على الإبداع والابتكار والنقد والإتيان بالجديد؛ لأن في ذلك خطر على بقائه.
- انتشار ظاهرة الحفظ والتكرار للمتون وشرحها دون نقد ومناقشة ومحاولة للخروج عن المألوف.
- انتشار التأليف في تفسير الأجزاء القرآنية أو السور القصار على حساب التفسير الاصطلاحي للقرآن كله، خدمة للدعاية الصوفية وربطا للعامة بفضائل الأعمال وتزكية النفوس والتربية الروحية.

---

[1] نقلا عن: مصطلح الاتجاه في التفسير والفرق بينه وبين المنهج والأسلوب: مراد قمومية، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد: الثاني، المجلد:19، أكتوبر 2018م، ص53.

[2] المرجع نفسه: ص52.

[3] ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي: أبو القاسم سعد الله، ط:1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، 137/1.

[4] ينظر: المصدر نفسه، 39/1، 48، 10/2، 12.

- غلبة التأليف في القراءات والرسم على حساب التأليف في التفسير.

ثالثا: مصادر أبي القاسم سعد في أحكامه حول اتجاهات التفسير في الجزائر

للشيخ سعد الله قرائن ومؤشرات بنى عليها تصوراته وآرائه حول اتجاهات التفسير عند الجزائريين في فترة الحكم العثماني، ففي حديثه في أول الكتاب عن مصادره وتحسيس القارئ أنها متنوعة وغير متاحة كونها تحتاج السفر، أو الذهاب إلى خزائن المخطوطات، وأنت تقرأ هذه المقدمة حول مصادره في كتابة تاريخه عموما تدرك قيمة وحجم العمل الذي قام به الدكتور سعد الله، والذي يهمنا في هذه الجزئية مصادره في الحكم عن اتجاهات التفسير عند الجزائريين، وهو يكثر من عبارة (فنحن نتصور أن...) فإذا مررت بهذه العبارة فاعلم أن الدكتور سعد الله يعتمد على مصادر ومراجع متنوعة ويجعلها مقياس يقيس بها جهود مفسري الجزائر في الحقبة العثمانية، وفي ما يلي بيان هذه المصادر.

- **كتب التاريخ والتراجم:**

تعتبر كتب التراجم والتاريخ مصدرا مهما من مصادر أبي القاسم سعد الله في بلورة آرائه حول اتجاهات التفسير الجزائري في الفترة العثمانية، لذا تقرأ له كثيرا وهو بصدد إعطاء الملمح العام لطريقة مفسر معين قوله: (فالذين ترجموا له تحدثوا....) ثم يربط ما قرأه في التراجم والموسوعات التاريخية بفكر المفسر ليستلهم الملمح العام الذي رسم اتجاه المفسر، وفي الجزء التطبيقي مزيد تمثيل لهذه المسألة.

- **قراءة المخطوطات:**

والقارئ للموسوعة الثقافية يدرك مدى العناء الذي لقيه أستاذنا ومؤرخ الجزائر في العصر الحديث في التجول بين عواصم العالم للنهل من المخطوطات المنهوبة والتي توثق لجهود علمائنا وتعرف بهم، فلم يدّخر الدكتور جهدا في الرجوع للمخطوطات الموجودة في الرباط وتونس وبلدان الخليج وتركيا وباريس ومدريد وبرلين وميونيخ وأمريكا[1]... ليستعين بها في بناء تصوراته حول اتجاهات التفسير الجزائري إبان حكم الدولة العثمانية.

- **ثقافة المفسر:**

تعتبر الإحاطة بثقافة المفسر رافدا مهما من الروافد المساعدة للحكم على اتجاه مفسر في منظور أستاذنا أبي قاسم سعد الله، إذ يقول: " مفسر القرآن الكريم يحتاج إلى ثقافة دينية وتاريخية ولغوية قوية لكي يقدم على عمله "[2]. لذلك تراه كثيرا ما يعدد جملة العلوم التي نبغ فيها المفسر وألف فيها، ليستنتج من خلالها ملمح اتجاهه التفسيري ونوع ومسلك تأويله.

---

[1] ينظر تاريخ الجزائر الثقافي: 1/29-32.

[2] المصدر نفسه: 2/11.

- **الوضع السياسي والإجتماعي:**

تعتبر الموسوعة الثقافية لأبي القاسم سعد الله مصدرا مهما لكل من أراد دراسة الأوضاع السياسية والإجتماعية في فترة الحكم العثماني في الجزائر، والذي يهمنا في هذه الجزئية هو استخدام الشيخ سعد الله معرفته بهذه الأوضاع كمؤشر مساعد على معرفة الظروف المحيطة التي أثرت في فكر المفسر ليخمن بغالب الظن أنه سلك هذا الاتجاه أو ذاك، وكمثال على هذا ذكره لقصة ابن للو التلمساني مع القائد حفيظ التركي حين رد الشيخ ابن للو هدية القائد من السمن والدقيق بعدما أمسكه من لحيته وطرده من بيته ليستنتج من هذه الحادثة استقلالية ابن للو في آرائه الفقهية والفكرية والعلمية عموما ومنها درسه في التفسير بالجامع الأعظم بتلمسان[1].

ويلحق بهذه المسألة الوظائف التي شغلها المفسرون الجزائريون كالقضاء والفتوى والتدريس والإمامة فكلها نشاطات احتكم إليها الدكتور سعد الله في بلورة الملمح العام الذي رسم اتجاهات التفسير عند الجزائريين في تلك الفترة.

الرجوع لمؤلفات المفسر المتاحة

كثيرا ما يرجع الدكتور سعد إلى مؤلفات الأعلام لرسم منهجهم العام في أي نشاط علمي وثقافي، والذي يهمنا في هذه الجزئية استفادته من الكتب والمخطوطات التي ألفها المفسرون الذين فقدت تفاسيرهم وجهودهم في تدريسه، فتراه يكثر من هذه العبارة (ونحن لم نطلع على مؤلف آخر له حتى نحكم على حجم عمله أو طريقته...)

• المبحث الأول: أبرز أعلام التفسير الجزائريين في الحقبة العثمانية عند أبي القاسم سعد الله.

تجدر الإشارة إلى أن الشيخ أبا القاسم سعد الله لم يذكر كل الأعلام المساهمين في التفسير تأليفا أو تدريسا على سبيل الاستقراء، وإنما جاء ذكره لها في معرض تصويره للحركة الثقافية والعلمية في الجزائر وهذا التصوير تعتريه النسبية ولا يخضع لقواعد الحصر والعد الدقيق، لذلك لا نستغرب عدم وجود أعلام أخرى لم يرد ذكرها في المطالب كونها لم ترد في الموسوعة الثقافية أو ورد ذكرها إجمالا دون تفصيل أو تمثيل على سبيل الافتراض، ومعلوم أن الافتراض والإجمال لا ينفعان في هذا المقام، وسأقتصر على الأعلام الذين أبدى حولهم الشيخ سعد الله كلاما في اتجاهاتهم التفسيرية.

المطلب الأول: أعلام القرن العاشر

[1] المصدر السابق: 13/2.

يعتبر القرن العاشر أقل القرون نشاطا في التفسير تأليفا وتدريسا وهذا راجع بالأساس لهجرة كثير من العلماء من هذا القطر وكذا سياسة العثمانيين الكابتة للمبادرات والغير مشجعة على الإبداع والنشاط العلمي والفكري الذي رأت فيه السلطة العثمانية خطرا على وجودها بالجزائر[1]. ومن أبرز أعلام هذا القرن:

- **الخروبي (959هـ):**

محمد بن علي الخروبي الطرابلسي صاحب التفسير المسمى ((رياض الأزهار وكنز الأسرار في تفسير القرآن)) نسبه الشيخ محمد مخلوف إلى الجزائر رغم أصله الليبي فقال: " أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي الجزائري: عالمها الكبير وإمامها الشهير كان من أهل الحديث والفقه والتصوف "[2] وقال صاحب معجم أعلام الجزائر: " فقيه الجزائر في عصره مفسر محدث من كبار العلماء "[3]. وقال الدكتور أبو القاسم سعد الله مستغربا عناية الخروبي بالتأليف في التفسير رغم خلفيته الصوفية: " غير أنه يقال إن محمد بن علي الخروبي قد وضع تفسيرا أثناء إقامته بالجزائر. فإذا صح هذا فإنه يكون أمرا غريبا من شيخ لا هم له عندئذ سوى نشر الطريقة الشاذلية وخدمة الدعاية العثمانية والتأليف في التصوف. ومهما يكن من أمر فنحن لم نطلع على هذا التفسير ولا تؤكد مصادر الخروبي وجوده[4] "[5].

المطلب الثاني: أعلام القرن الحادي عشر

- **الشيخ محمد أبهلول (1008هـ):**

هو الشيخ محمد بن علي أبهلول المجاجي، أحد علماء التفسير والشعراء والمتصوفة صاحب زاوية مجاجة الشهيرة قرب مدينة تنس وكانت هذه الأخيرة عامرة بالعلم والزهد والفقه والفضل، خصه أبو حامد العربي المشرفي بترجمة حافلة في كتابه ((ياقوتة النسب الوهاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة))[6]

---

[1] ينظر كلام الدكتور سعد الله في هذه المسألة: تاريخ الجزائر الثقافي: 16/2،9.

[2] شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن سالم مخلوف، ط:1، تع: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ-2003م، 411/1.

[3] معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر: عادل نويهض، ط:2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والنشر والترجمة، بيروت، 132/1.

[4] قلتُ: التفسير موجود وقد حقق في رسالة دكتوراه بالأزهر الشريف من طرف الطالب إسماعيل الربة سنة 1996م. ينظر: جهود علماء الجزائر في علم التفسير زمن العهد العثماني: د عبد الغاني عيساوي، ص101.

[5] تاريخ الجائر الثقافي: 16/2.

[6] حاولت توثيق كلام المشرفي المتوفي سنة 1885م من ياقوتته المحققة ولكن لم أفلح في تحميل الكتاب للحصانة الإلكترونية عليه، فنقلت كلامه بواسطة رسالة الدكتور عيساوي وكذا كلام الدكتور أبو القاسم سعد الله، وحسبي أن اجتهدت في ذلك جهدي والله من وراء القصد.

وقال في حقه: "كان إماما هماما عالما زاهدا عابدا تفرد بهذه الأوصاف الشريفة على سائر علماء عصره وكانت الرحال تشد إليه طلبا للتفسير، توفي مقتولا غدرا سنة 1008هـ، وذلك بعد فتواه في عدم جواز تزوج القاتل من امرأة"[1].

وذكر الدكتور سعد الله أن الشيخ أبهلول من المعتنين بالتفسير تدريسا[2].

- **أحمد المقري (1041هـ)**

شهاب الدين أحمد بن محمد المقري أبو العباس التلمساني، ولد بتلمسان ونشأ بها وتتلمذ على يد عمه الشيخ سعيد المقري والشيخ محمد القصار وأحمد التنبكتي وغيرهم، رحل إلى مصر واستوطن القاهرة مدة ثم رحل إلى دمشق ثم عاد إلى مصر وتوفي بها سنة 1041هـ.[3] اشتغل بالتفسير تدريسا ولم يعرف أنه ألف فيه استقلالا، قال عنه صاحب (الإعلام): " حافظ المغرب جاحظ البيان، ومن لم ير نظيره في جودة القريحة وقوة البديهة... كان آية باهرة في علم الكلام والتفسير والحديث ومعجزا باهرا في الأدب والمناظرات "[4].

من آثاره: نفح الطيب، والروض الآس، وكتاب إعراب القرآن، وهو المؤلف الوحيد الذي يستشف منه ملامح الشيخ المقري في التعاطي مع التفسير[5].

- **محمد بن خليفة الجزائري (ت1094هـ)**

قال عنه ابن زاكور الفاسي في رحلته المشهورة: " الشيخ المسن البركة الحائز قصب السبق في فنون مشتركة، شيخ المشايخ الذي له في تحقيق العلوم قدم راسخ، أبو عبد الله بن خليفة لا زال رضوان الله حليفه... فاضل علامة رحالة مخذامة "[6].

وكان ابن زاكور يهم بقراءة مختصر سعد الدين التفتزاني على التلخيص المطول للمصنف على شيخه ابن خليفة، إلا أن حضور أجل المترجم له حال دون أخذ ابن زاكور الإجازة في ذلك، ووثق ابن زاكور وفاة شيخه وكذا اهتمامه بالتفسير تدريسا فقال: " فوعدني رضي الله عنه بالإسعاد في رغبتي والإسعاف في طلبتي حين يختم تفسير القرآن المجيد وكان من ذلك الغرض غير بعيد، فلما أورده أمله منهله حضره أجله

---

[1] ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي: 359/1، وينظر: جهود علماء الجزائر في علم التفسير زمن العهد العثماني: ص116-117.

[2] ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي: 13/2.

[3] ينظر: معجم أعلام الجزائر: نويهض، ص309-310.

[4] نقلا عن جهود علماء الجزائر في علم التفسير: عيساوي، ص119.

[5] المرجع نفسه: ص125 وما بعدها.

[6] نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان: ابن زاكور الفاسي، دط، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص71-72.

وما أمهله، فاقتطفته المنية إثر بلوغ تلك الأمنية، وتاقت نفسه إلى التنعم في رياض الجنة باحتناء وقطف، يوم الإربعاء في عقب ربيع الثاني من شهور سنة أربعة وتسعين وألف (1094هـ) "[1].

- **يحيى بن محمد الشاوي (1096هـ)**

الإمام يحي بن محمد بن محمد بن عبد الله، أبو زكرياء الشاوي المليانى الجزائري من فقهاء المالكية، ولد بمليانة قرب مدينة الجزائر، نشأ بالجزائر وتعلم بها على يد سعيد قدورة والشيخ أبهلول المفسر وغيرهما، ثم رحل إلى مصر وتصدّر للإقراء بالأزهر ثم إلى الشام وتركيا ثم عاد إلى مصر ومات على ظهر سفينة قاصدا الحج ونقل جثمانه إلى القاهرة سنة 1096هـ رحمه الله رحمة واسعة، من آثاره كتاب المحاكمات، وتفسير آية التنزيه، وأصول النحو وغيرها من المؤلفات التي تدل على علو كعبه وسعة علمه واطلاعه.

قال عنه تلميذه محمد الأمين المحبي: " شَيخنَا الأستاذ الذي ختمت بعصره أعصر الأعلام وأصبحت عوارفه كالأطواق في أجياد الليالي والأيام، الْمُقَرّر براهين التطبيق بتوحيده، فَلَا تمانع فِيهِ إلا من معاند عُلم مرجعه عَن الْحق ومحيده، آيَة الله تَعَالَى الباهرة في التَّفْسِير، والمعجزة الظاهِرَة في التَّقْرِير والتحرير "[2]. وقال عنه الكتاني: " فخر الجزائر أبو زكرياء يحيى بن الفقيه أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى النائلي، نسبة إلى قبيلة أولاد نائل بالقطر الجزائري، المليانى الشاوي تسمية لا نسباً، الجزائري المالكي المتوفى على ظهر البحر عام 1096هـ، ثم نقل إلى مصر فدفن بها بمقبرة المالكية "[3]. وقال تلميذه الشهاب أحمد بن قاسم البوني في ثبته: " كان يحفظ ستين كتاباً من الكتب الكبار كمختصر ابن عرفة الفقهي، وهو ستة أسفار كبار جمع فيه أكثر المذهب، حتى إنه يذكر في بعض المسائل خمسين قولاً منسوبة لقائلها وأمثال ذلك، وأما التواليف التي هي كراريس قليلة يحفظ منها ما لا يحصى، كيف لا وهو يحفظ من ثلاث عرضات لا غير فحفظ القرآن وهو ابن ثمان سنين، ثم اشتهر بالحفظ وحدة الذهن وجودة الإدراك حتى عبر عنه شيخنا سيدي بركات بن باديس القسمطيني بقوله: إنه عالم الربع المعمور "[4].

المطلب الثالث: أعلام القرن الثاني عشر

- **أحمد قاسم البوني (1139هـ)**

---

[1] المصدر السابق: ص74.

[2] خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: محمد الأمين المحبي الحموي الدمشقي، دط، دار صادر، بيروت، ت، 486/4.

[3] فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات: محمد عبد الحي الكتاني، تح: إحسان عباس، ط:2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م، 1132/2.

[4] المصدر نفسه: 1133/2.

أحمد بن قاسم بن ساسي التميمي النوني أحد أعلام بونة والمشاركين في العلوم، ولد بنونة المعروفة شرقي مدينة عنابة سنة 1063هـ، وتوفي بها سنة 1139هـ، من كبار فقهاء المالكية وعلمائها بالبلدة، أحد رجالات العلم والتدريس بالقرن الثاني عشر صاحب التصانيف الكثيرة والمشاركة في فنون عديدة، ومنها التفسير وعلوم القرآن[1].

قال عنه الكتاني: " هو الإمام العلامة المحدث المسند الجماع المطلع صاحب التآليف العديدة والأنظام الكثيرة، أبو العباس أحمد بن قاسم بن أبي عبد الله محمد ساسي التميمي البوني من بونة التي تعرف الآن بعنابة من القطر الجزائري، المولود ببونة سنة 1063 والمتوفى سنة 1139 عن ست وسبعين سنة "[2]. وقال عنه صاحب شجرة النور الزكية: " البوني (نسبة إلى بونة) عالمها وصالحها الإمام العلامة المحقق الفهّامة المحدّث الراوية المسند الواعية "[3].

- **حسين العنابي (1150هـ)**

حسين بن محمد المعروف بابن العنابي مفسر واسع المعرفة بعلوم الشريعة من فقهاء الحنفية، نسبته إلى عنابة، سكن مدينة الجزائر وولّي القضاء بها أربعة مرات وتوفي بها سنة 1150هـ، من آثاره (تفسير القرآن الكريم)[4] وهذا التفسير في عداد المفقود كما أشار الدكتور سعد الله حين نقل عن حفيده محمد بن محمود استشهاد الأخير بمواضع من تفسير الجد الشيخ العنابي[5]، وقد تتبع الدكتور عيساوي كتاب (السعي المحمود في نظام الجنود) للحفيد محمد العنابي فوجده اقتبس من تفسير الجد صاحب الترجمة في أربعة مواضع[6]، مما يدل على على امتلاك الحفيد نسخة ورقية من تفسير الجد كان يستخدمها عند الاقتباس والاستشهاد.

- **عبد القادر الراشدي (1194هـ)**

عبد القادر بن محمد الراشدي القسنطيني نسبة لقبيلة الرواشد بفرجيوة ومفتي الحنفية بقسنطينة، ومال إلى الاجتهاد فسبب له متاعب وكيد خصومه به، فابتعد عن القضاء، وقد كانت وفاته سنة 1094هـ، من

---

[1] ينظر: جهود علماء الجزائر في علم التفسير: عيساوي، ص154.

[2] فهرس الفهارس: محمد عبد الحي الكتاني، 236/1.

[3] شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن سالم مخلوف، تع: عبد المجيد خيالي، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ-2003م، 475/1.

[4] ينظر: معجم أعلام الجزائر: عادل نويهض، ص244.

[5] ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي: 18/2.

[6] جهود علماء الجزائر في علم التفسير: ص161.

آثاره رسالة في تحريم الدخان، ونسب عائلات قسنطينة وقبائلها وعربها وبربرها ورسالة في وزن الأعمال. وله منظومة في التأويل وشرحها هو نفسه[1].

وقد قال الدكتور سعد الله على نشاط الراشدي التفسيري: " ذلك أن مترجميه قد تحدثوا عن أنه كان يعقد مجالس للفتوى والتفسير، غير أننا لا نعرف ما إذا كانت هذه المجالس للتدريس أو مجالس إجتماعية يحضرها الوالي والعلماء. والمعروف أن الراشدي كان قد تولى الإفتاء والتدريس بجامع سيدي الكتاني ومدرسته، وكلاهما من آثار صالح باي. كما أن للراشدي بعض التآليف، ولكننا لا نعرف ما إذا كان تفسيره قد جمع في كتاب، فلعله لم يكن يتناول التفسير بصورة منتظمة، وإنما كان يتناول بعض الآيات في المناسبات المعينة ويعرضها ويحللها "[2].

- ابن للو التلمساني (أواخر ق12)

يعرف بابن للو التلمساني ولا يعرف له نسب في كتب التراجم، وكل ما ذكره الباحثون حوله مصدره مخطوط لأبي حامد المشرفي (1313هـ)[3] الذي روى عن والده المعاصر بابن للو أن الأخير ختم تفسير القرآن بالجامع الأعظم بتلمسان، يقول أبو القاسم سعد الله في هذا الصدد: " وعندما ترجم أبو حامد المشرفي لابن للو التلمساني قال عنه إنه قد ختم تفسير القرآن الكريم في الجامع الأعظم بتلمسان. وكان والد المشرفي معاصرا أو قريبا من زمن ابن للو، فهو الذي حدث ابنه، أبا حامد، بأن ابن للو قد فسر القرآن حتى ختمه ". وقد ذكر أبو حامد المشرفي بأن بابن للو خُتم به الأدب في تلمسان وكان من حذاقه والمتمرسين فيه[4].

- عمر بن محمد المحجوب المعروف بالبهلول (أواخر ق12)

لا يعرف في كتب التراجم والسير التي اعتنت بأعلام القرنين الثاني والثالث عشر، إلا أن الشيخ سعد الله علق في هامش موسوعته بأنه لا يعرف عصر البهلول المذكور وخمّن في أنه من أهل القرن الثاني عشر،؛ إذ يقول: "كما أن الشيخ عمر بن محمد المحجوب المعروف بالبهلول الزواوي قد كتب تفسيرا للقرآن يبدو أنه انتهى منه حتى أصبح يعرف بـ (تفسير البهلول) "[5].

---

[1] ينظر: معجم أعلام الجزائر: عادل نويهض، ص146. وينظر: جهود علماء الجزائر في علم التفسير: ص205 وما بعدها.

[2] تاريخ الجزائر الثقافي: 14/2.

[3] ذكر الدكتور عيساوي الذي اطلع على هذا المخطوط لتحضير أطروحته للدكتوراه وهو في مكتبة الرباط برقم 2659، ومنه نسخة مصورة بالمكتبة الوطنية للكتاب وهو بعنوان (ذخيرة الأواخر والأول فيمن يتضمن من أخبار الدول) ينظر: جهود علماء الجزائر في علم التفسير: الدكتور عيساوي، ص212.

[4] المصدر نفسه: ص214.

[5] تاريخ الجزائر الثقافي: 20/2.

ويبقى منهجه في التفسير غامضا، وإن حاول الدكتور عيساوي سبر خباياه بما وقف عليه من مخطوط يحمل اسم الشيخ البهلول الزواوي[1]، ولكن هذا لا يشكل تصورا علميا دقيقا لكون المخطوط لا يحمل عنوانا مع عدم وجود نسخ أخرى للمطابقة يبقى هذا عاريا عن الدقة المطلوبة في هكذا أبحاث.

المطلب الرابع: أعلام القرن الثالث عشر

- أبو راس المعسكري (1238هـ)

محمد أبو رأس بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر الجليلي المعسكري الجزائري حافظ المغرب الأوسط ورحالته، صاحب التآليف الكثيرة في الفقه والأدب والتاريخ والأنساب وغير ذلك، المتوفي ببلاد معسكر عشية يوم الأربعاء 13 جمادي الثانية سنة 1239 ودفن به، وعليه ضريحه[2]. وله مؤلفات تزيد على الخمسين منها تفسير القرآن، وعنوانه ((التيسير إلى علم التفسير)) هذا العنوان ذكره أبو القاسم سعد الله[3]، ويظهر أنه اختصره من مؤلف أبي راس الذي ذكره في كتابه (فتح الإله ومننه في التحدث بفضل ربي ونعمه) وعنوانه ((مجمع البحرين ومطلع البدرين بفتح الجليل للعبد الذليل في التيسير إلى علم التفسير))[4]. ويظهر بهذا عناية أبي راس بالتفسير تأليفا بل وحتى تدريسا، وهذا لقرائن عديدة منها أجوبته الكثيرة على الأسئلة المطروحة في رحلاته ولقاءاته مع الطلاب والشيوخ في مختلف الأمصار والبلدان، وقد أشار الدكتور عيساوي في أطروحته الماتعة إلى هذا في معرض ذكره لتراث الإمام أبي راس[5].

- محمد الزجاي (تقريبا 1238هـ)

محمد الزجاي، أحد أعلام التفسير بحاضرة تلمسان، وتلميذ ابن للو التلمساني صاحب المجالس التفسيرية بالجامع الأعظم بتلمسان، لم يترجم له في كتب التراجم، واعتمد الدكتور أبو القاسم سعد الله على مخطوط (إتمام الوطر في التعريف بمن اشتهر) لتلميذ الزجاي المسمى محمد بن علي التلمساني الذي لا يعرف في كتب التراجم، وذكر الدكتور عيساوي أن هذا المخطوط توجد منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات بالرياض وهو بعنوان (التعريف بمن اشتهر في أوائل القرن الثالث عشر)[6]

---

[1] ينظر: جهود علماء الجزائر في علم التفسير، ص216 وما بعدها.

[2] ينظر في ترجمته: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات: محمد الكتاني، 150/1.

[3] تاريخ الجزائر الثقافي: 19/2.

[4] فتح الإله ومننه في التحدث بفضل ربي ونعمه: أبو راس المعسكري، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، تق: أبو القاسم سعد الله، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، 179.

[5] ينظر: جهود علماء الجزائر في علم التفسير، ص161.

[6] جهود علماء الجزائر في علم التفسير: ص261.

وقد قال الدكتور عيساوي: " وقول صاحب ((إتمام الوطر)) بأن شيخه له حواش في التفسير دليل على اهتمام الزجاي بالتفسير وعلومه تأليفا، ولا أستبعد أن تكون تلك الحواشي على كتب التفسير المشهورة كأنوار التنزيل للبيضاوي والكشاف للزمخشري؛ ذلك أن غالب حواشي كتب التفسير التي اهتم بها علماء الجزائر تلك الفترة كانت حول تلك التفاسير[1].

- **محمد بن علي الشريف الشلاطي (1314هـ)[2]**

محمد السعيد بن علي الشريف، الزواوي بلدا، الشلاطي مولدا، اليلولي صقعا، أبو الفضل: باحث، من الفقهاء، له اشتغال بالتاريخ. أسس معهدا في مسقط رأسه بشلاطة، وصار زاوية عرف باسمها، تخرج بها عدد من علماء زواوة والجنوب. من آثاره: (الاستبصار بتفصيل الأزمان ومنافع البوادي والأمصار) و(التوسم والاستدلال على محاسن أخلاق النساء والرجال) و(كتاب في التوحيد) باللغة الأمازيغية، كما له تآليف أخرى في (السيرة النبوية) و(تاريخ الخلفاء والملوك والعرفاء) مات بشلاطة زمن الإستعمار سنة 1314هـ[3].

وبعد سردنا لأهم أعلام التفسير الذين جاء ذكرهم في الموسوعية الثقافية للدكتور سعد الله مقسمين عبر القرون الأربعة التي أتى الحكم العثماني فيها، نأتي إلى المبحث الثاني حول اتجاهات هؤلاء الأعلام في التفسير من خلال تصورات شيخ المؤرخين الجزائريين في القرن العشرين.

- **المبحث الثاني: اتجاهات التفسير عند الجزائريين في منظور الأستاذ سعد الله.**

يتوقف الاتجاه التفسيري الذي يسلكه المفسر على جملة من الركائز التي توجه هذا المسلك العام عند المفسر، فالبيئة والمحيط بما يمليانه من ظروف سياسية وثقافية، وخلفية المفسر العلمية وطبيعة المتلقي والجمهور المستقبل للمادة التفسيرية كلها عوامل مساعدة على رسم منحى الاتجاه التفسيري العام عند أي مفسر، يقول الدكتور الخالدي وهو يتكلم عن خلفية المفسّر وأثرها في اتجاهه التفسيري: " لقد كان كل واحد من هؤلاء المفسرين يفسر القرآن وفق العلم الذي مهر فيه وغلب عليه، فالمتخصص في اللغة غلب على تفسيره مباحث اللغة والبيان على حساب باقي المباحث التفسيرية، والمتخصص في الفقه والأحكام غلب هذا اللون على تفسيره، والمتخصص في المأثور والروايات غلب هذا اللون على تفسيره، والمتخصص

---

[1] ينظر: المصدر نفسه: ص262.

[2] أدرجت هذا العلم مع خروجه عن دائرة بحثي كونه متوفى في القرن الرابع عشر هجري زمن الإستعمار، وهذا لأنه يمثل الاتجاه العلمي عند المفسرين الجزائريين، وخشية أن يغفل هذا الاتجاه في فترة الإستعمار فأدرجته باعتبار مولده آخر العهد العثماني وفي هذا تجوزا من الباحث فينبغي الانتباه.

[3] ينظر ترجمته: تعريف الخلف برجال السلف: للحفناوي 533-534.

في المباحث العقلية والكلامية غلبت هذه المباحث على تفسيره وهكذا "[1]. وقال الدكتور حسين الذهبي في السياق نفسه: " إنا لنلحظ في وضوح وجلاء أنّ كل من برع في فن من فنون العلم يكاد يقتصر تفسيره على الفن الذي برع فيه"[2].

بل إن هذه السمة رسمت منحى اتجاهات التفسير زمن التابعين وأتباعهم من سلف الأمة؛ إذ يشير الدكتور مساعد الطيار بقوله: " يظهر في تفاسيرهم أثر اهتمامات المفسر، فتجد العناية بالوعظ عند الحسن وتلميذه قتادة، وتجد تفسير آيات السيرة وما يتعلق بها عند ابن اسحاق، وتجد العناية بالمبهمين وأنسابهم عند مقاتل بن سليمان والكلبي، وتجد العناية بقصص السابقين عند السدي وابن إسحاق وهكذا "[3].

لأجل هذا أشار أبو القاسم سعد إلى تصوراته حول اتجاهات التفسير عند الجزائريين في الفترة العثمانية وارتكزت في غالبها على هذه المؤشرات، ومن خلال ذلك يمكن حصر هذه الاتجاهات في الآتي:

المطلب الأول: الاتجاه اللغوي.

ويتمثل في الاتجاهات الفرعية التالية: الاتجاه النحوي – والبياني – والأدبي.

الفرع الأول: الاتجاه النحوي:

ويمثله كل من الإمامين محمد أبهلول ويحي الشاوي.

- **محمد بن علي أبهلول:** إذ يقول الدكتور سعد الله مشيرا إلى سلك أبهلول هذا الاتجاه النحوي: " والظاهر أن الشيخ كان يفسر باللسان ولا يسجل بالقلم. ذلك أن الذين ترجموا له تحدثوا عن براعته في عدة علوم أخرى ولكنهم لم يتحدثوا عن كتب أو تقاييد له. فهو إذن من المدرسين في التفسير وليس من المؤلفين فيه. ولا نتوقع أن يكون تفسير أبهلول تفسيرا حيا أو مبتكرا، وإنما نتوقعه تفسيرا تقليديا منقولا عن السابقين، مع قليل من ذلاقة اللسان وبيان العبارة، لأن الشيخ كان مشهورا أيضا بحذق العروض والمنطق والنحو، وهي علوم تساعد على فهم القرآن وجودة تفسيره"[4].
- **يحيى الشاوي:** يقول الشيخ سعد الله عن الشخصية العلمية الناقدة لحيى الشاوي رحمه الله وكيف أثرت في اتجاهه النقدي في التفسير حيث ألف المعارضات التي حكم من خلالها بين ثلاثة جهابذة من أئمة اللغة والتفسير فقال: " وقد قام يحي الشاوي بوضع أجوبة على اعتراضات أبي حيان على ابن

---

[1] تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط:3، دار القلم، دمشق، 1429هـ – 2008م، ص42.

[2] التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، دط، مكتبة وهبة، القاهرة، دت، ج1/ ص109.

[3] التحرير في أصول التفسير: مساعد بن سليمان الطيار، ط:5، مطبوعات معهد الإمام الشاطبي للقرآن وعلومه، جدة المملكة العربية السعودية، 1440هـ – 2019م، ص136.

[4] تاريخ الجزائر الثقافي: 13/2.

عطية والزمخشري. ويبدو أن أجوبة الشاوي كانت ضخمة إذا حكمنا من حجم عمله ، ولم نطلع نحن على هذا العمل حتى نحكم على منهج صاحبه، ولكننا نعرف أن يحي الشاوي كان من أبرز علماء عصره تجربة وثقافة ونقدا. وقد ألف في علوم أخرى كالتوحيد والفقه سنعرض إليها. ونود هنا أن نذكر بما قلناه عنه من أنه كثير النقد لعلماء عصره وغيرهم، وإنه كان يعتبر هذا النقد، رغم ما فيه من تعرض للأخطار، مصدر ثواب. لذلك فنحن نتصور أن أجوبته على تفاسير غيره ستكون مشبعة بالآراء المستقلة التي كانت تهدف إلى فهم القرآن في ضوء مصالح المسلمين في وقته "[1].

ما يلاحظ على هذه التصورات أنها صنفت الشيخين سيدي علي أبهلول وسيدي يحي الشاوي في خانة السالكين للاتجاه النحوي في اللغة على شاكلة أبي حيان الأندلسي وغيره من المهتمين بهذا الاتجاه، وقد اعتمد الشيخ سعد الله على العلوم التي نبغ فيها المفسران وعلى الشخصية العلمية التي اتسم بها كل منهما، فكلاهما من المؤلفين في علوم اللغة، ويتسمان بآراء مستقلة لا تخشى في الله لومة لائم، فالشيخ يحي كثير المناقشة لعلماء عصره والشيخ أبهلول يصدع بالحق حتى لو كان ثمنه حياته وقد مات مقتولا بسبب فتواه كما مر بنا في ترجمته.

الفرع الثاني: الاتجاه البياني.

- **عبد الكريم الفكون الجد:** حيث كان الفكون (الجد) من المعتنين بالتدريس ولا سيما تدريس البلاغة، وامتاز بتجويد تدريس البلاغة كما امتاز بتجويد الخطابة بقسنطينة[2]، إذ يقول الدكتور سعد الله عن سلكه هذا الاتجاه البياني: " وقد روى عبد الكريم الفكون (الحفيد) أن جده قد وضع "تقييدا" جمع فيه الآيات التي استشهد بها سعد الدين التفتزاني في كتابه المطول[3]، ولكن العناية ببعض الآيات من القرآن الكريم لا تعني العناية بالتفسير كعلم قائم بذاته. ثم إن الرواية تشير إلى أن الشيخ الفكون قد جمع الآيات ولم تقل إنه فسرها أو علق عليها. ومن ثمة يظل هذا التقييد خارج النطاق الذي نتناوله. ذلك أن الفكون (الجد) كان مهتما اهتماما خاصا بعلم البيان وكان جمعه للآيات من مطول التفتزاني لا يخرج عن حبه للبيان "[4].

---

[1] المصدر السابق: 17/2.

[2] ينظر: شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية: أبو القاسم سعد الله، ط:1، در الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ – 1986م، ص32.

[3] سعد الدين التفتازاني صاحب اليد الطولى في البلاغة والبيان والمنطق مات سنة793هـ، من أهم كتبه المطول في البلاغة والتلخيص، واللذان اهتما بهما أرباب البيان والبلاغة، ينظر: معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر: عادل نويهض، ط:3، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1409هـ-1988م، 670/2.

[4] تاريخ الجزائر الثقافي: 16/2-17.

الفرع الثالث: الاتجاه الأدبي.

- **ابن للو التلمساني:** يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله مبينا هذا الاتجاه الأدبي عند ابن للو حيث رجع لترجمته التي أورها أبو حامد المشرفي ليحكم من خلالها هذا الحكم على اتجاهه التفسيري: " ونحن لا نستغرب أن يعمد ابن للو إلى تفسير القرآن الكريم ويتصدى لذلك حتى يختمه بالجامع الأعظم، فقد عرف عنه أيضا أنه كان من الأدباء الحاذقين حتى أن أبا حامد المشرفي جعله "خاتمة أدباء تلمسان المتأخرين ". وهذا يؤكد ما قلناه من أن الذين تناولوا التفسير كانوا من أبرز العلماء ومن أكثرهم إلماما بمختلف العلوم الشرعية والعقلية. والظاهر أن ابن للو لم يكن يحتفظ بتقييد لما كان يفسره، ولم يهتم أحد من تلاميذه بجمع ما ألقاه. ولو فعلوا ذلك لوصل إلينا نموذج من تفاسير القرن الثاني عشر نستدل به على ثقافة العلماء عندئذ ومنهجهم في التفسير. ولعل منهج ابن للو في تفسير القرآن كان يعتمد على المعاني الظاهرية، كما كان يعتمد طريقة القدماء في الاستدلال والاستنتاج "[1].
- **أحمد المقري:** يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله مبينا مسلك المقري الأدبي في التفسير: " وقد أخبر عبد الكريم الفكون أن المقري قد انتصب للتدريس في الجامع الأعظم بمدينة الجزائر عندما أخرجته الظروف السياسية من المغرب، وأن من جملة ما درّس هناك التفسير... ونحن نعتقد أنه لو ألف فيه لأجاد كما أجاد فيما ألف في العلوم الأخرى. كما نفهم من نقد الفكون له أن طريقة المقري في التفسير، كما هي في علومه الأخرى، طريقة كلية لا جزئية تعتمد على التعميم وتبتعد عن الدقة. وهو، لكونه أديبا، كان يزوق الألفاظ ويستعمل العبارات المبهمة "[2].

احتكم الشيخ سعد الله في تصنيف الشيخ المقري في خانة الاتجاه الأدبي إلى كونه أديبا من جهة وكذا رأي عبد الكريم الفكون فيه كونه كان يمتاز بأسلوب عام وإجمالي يتناسب مع مفردات الاتجاه الأدبي.

المطلب الثاني: الاتجاه الصوفي.

ظهر التصوف والطرق الصوفية في الجزائر وكثرت الزوايا قبل الوجود العثماني، وبلغ التصوف أوجه في الفترة العثمانية، ووجد المتصوفة دعما من السلطة العثمانية[3] فأثمر نتاجا ثقافيا وفكريا صوفيا كان له تأثير واضح على تفسير القرآن تأليفا وتدريسا، فكثر المفسرون السالكون لهذا الاتجاه. ومن أبرز هؤلاء الأعلام:

- **محمد بن علي الخروبي:** يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله مبينا اتجاه الخروبي هذا الاتجاه: " وهكذا ينتهي القرن العاشر (16 م) دون أن نسجل تأليفا واحدا في تفسير القرآن الكريم. غير أنه يقال إن

---

[1] المصدر نفسه: 2/13-14

[2] المصدر نفسه: 2/15.

[3] المصدر السابق: 2/111-113.

محمد بن علي الخروبي قد وضع تفسيرا أثناء إقامته بالجزائر. فإذا صح هذا فإنه يكون أمرا غريبا من شيخ لا هم له عندئذ سوى نشر الطريقة الشاذلية وخدمة الدعاية العثمانية والتأليف في التصوف "[1].

- **أحمد البوني**: يقول الدكتور سعد الله عن مسلك البوني الصوفي في التفسير: " وعنوان تأليف البوني هو (الدر النظيم في فضل آيات من القرآن العظيم) ويبدو من هذا العنوان أن البوني لم يتناول التفسير بالمعنى المتعارف عليه وإنما خص بعض الآيات من القرآن مستخرجا منها المعاني التي تناسب التصوف والآداب العامة "[2].
- **أبو راس الناصري المعسكري**: يقول الدكتور سعد الله عن الاتجاه الصوفي للشيخ لأبي راس: " فأما أبو راس فقد ذكر أنه قد وضع تفسيرا للقرآن الكريم في ثلاثة أسفار وأنه جعل كل سفر يحتوي على عشرين حزبا، وسماه (التيسير إلى علم التفسير). ومما عرفناه عن أبي راس نستطيع أن نحكم بأن تفسيره سيكون محشوا بالاستطراد كالأخبار والإعراب والحكايات ونحوها. ونحكم أيضا بأن عبارته ستكون سهلة وألفاظه قريبة من العامية. أما التفسير في حد ذاته فقد يكون مقتصرا فيه على المعاني الظاهرة التي لا تحتاج إلى كثرة الاستدلال والاستنباط والتفرع. ومهما كان الأمر فإن تفسير أبي راس. يذكر المرء بتفسير الثعالبي لأن كليهما كان يجمع الزهد إلى العلم، وكليهما جاء في وقت اضطربت فيه الأحوال السياسية في البلاد، كما أن حجم التفسيرين متقارب "[3].
- **محمد الزجاي**: وقال عن جهود الزجاي التفسيرية وسلكه المسلك الصوفي: " ويبدو أن محمد الزجاي قد غلب عليه التصوف أكثر من أبي راس. فالذين ترجموا له عدوا له مجموعة من الكرامات، واعتبروه من زهاد العصر ومن علمائه أيضا. وللزجاي مجموعة من التآليف في التفسير والنحو والتصوف. ويهمنا من أعماله ما فسره من القرآن. فقد عد له أحد مترجميه "تفسير الخمسة الأولى"، وهو تعبير غير واضح، فهل هو تفسير السور الخمس الأولى أو تفسير الأجزاء الخمسة الأول؟. وعلى كل حال فإن التعبير يدل على أن هذا التفسير غير كامل وأنه تناول فيه جزءا فقط من القرآن الكريم "[4].

المطلب الثالث: الاتجاه الفقهي.

سنذكر في هذا الاتجاه علمين اختصا بمنصب الإفتاء، فوظيفتها التي أسندها إليهم الحاكم العثماني (مفتي الحنفية) جعلت الشيخ سعد الله يحكم بسلكهما هذا المسلك التفسيري.

---

[1] المصدر نفسه: 16/2.

[2] المصدر نفسه: 18/2.

[3] المصدر نفسه: 19/2.

[4] المصدر السابق: 19/2.

- **عبد القادر الراشدي القسنطيني:** يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله مبينا شخصية الراشدي العلمية المتجردة عن التقليد والمتصدرة للاجتهاد والفتوى وفق ما يمليه المنهج العلمي السليم البعيد عن المداهنة، والذي أثمر في نظر الدكتور شخصية علمية مستقلة في تفسيرها ليست أسيرة للقديم ولا رهينة لأساليب المتقدمين يقول: " والمعروف أن الراشدي كان قد تولى الإفتاء والتدريس بجامع سيدي الكتاني ومدرسته، وكلاهما من آثار صالح باي. كما أن للراشدي بعض التآليف، ولكننا لا نعرف ما إذا كان تفسيره قد جمع في كتاب، فلعله لم يكن يتناول التفسير بصورة منتظمة، وإنما كان يتناول بعض الآيات في المناسبات المعينة ويعرضها ويحللها، ونحن نتصور أنه كان إلى حد ما متحررا في فتاويه وآرائه. ذلك أن سيرته تشير إلى أنه قد واجه بعض التحدي نتيجة آرائه. فقد قيل عنه إنه كان يقول بالتجسيم وأن بعض علماء وقته قد حكموا عليه بالزندقة والكفر وكادوا ينجحون في الفتك به لولا تعاطف صالح باي معه. كما أنه قد ألف رسالة في تحريم شرب الدخان، وكل هذه المواقف والآراء تجعلنا نتصور أنه كان في تفسيره شيء من الخروج عن المألوف وعدم التقيد الرتيب بنصوص وآراء الأقدمين "[1].
- **حسين العنابي:** حيث قال الدكتور سعد عن سلك العنابي هذا الاتجاه التفسيري: " أما العنابي فقد تولى الإفتاء عدة مرات في الجزائر، وكان من أبرز علماء الحنفية. وإذا كانت حياته في الوظيفة معروفة من سجلات الإدارة العثمانية فإن حياته العلمية ما تزال غير معروفة. ولا نكاد نعرف عنها أكثر مما ذكره حفيده محمد بن محمود بن العنابي الذي ذكر في تأليفه أن لجده تفسيرا للقرآن الكريم، وقد نقل منه عدة مرات مستشهدا بكلامه...ولم يذكر ابن العنابي عنوانا لتفسير جده ولا حجما. ولكن عبارته تدل على أنه كان يملك نسخة منه يستعملها عند الاستشهاد. ولم نطلع نحن على عمل آخر لحسين العنابي حتى يساعدنا في الحكم على تفسيره، والظاهر أنه تفسير ديني بالدرجة الأولى "[2].

وقد انتقد الدكتور عيساوي هذا التعبير من الشيخ سعد الله متسائلا: فكيف يكون تفسير القرآن لا ديني[3]، والظاهر أنه اصطلاح يحتمل عدة محامل، فيمكن حمله على الفقه كون الإمام كان مفتيا، ويمكن حمله على الآداب العام والتصوف وتزكية النفوس من خلال النماذج التي ذكرها الحفيد عنه، ومهما يكن من أمر فالوظيفة ومسؤوليتها وظروفها ستلقي بظلالها على مسلك الشيخ العنابي في التفسير.

المطلب الرابع: الاتجاه الإجمالي:

---

[1] المصدر نفسه: 2/14-15.

[2] المصدر نفسه: 2/18.

[3] ينظر: رسالة الدكتوراه لعبد الغاني عيساوي: ص 164.

نقصد بالاتجاه الإجمالي في التفسير تلخيص المعنى دون غوص في الدقائق اللغوية والأوجه التفسيرية التي تحتاج آلات وعلوم شتى تساعد على تدبر القرآن، وعندي نموذج من تصورات الدكتور سعد الله يمكن إدراجه في هذا المنحى التفسيري، وهو الشيخ:

- **عمر بن محمد المحجوب المعروف بالبهلول الزواوي:** يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله في بيان هذا الاتجاه التفسيري للشيخ البهلول: " كما أن الشيخ عمر بن محمد المحجوب المعروف بالبهلول الزواوي قد كتب تفسيرا للقرآن يبدو أنه انتهى منه حتى أصبح يعرف بـ (تفسير البهلول). وقد قيل عن البهلول وتفسيره هذه العبارة "وكان رجلا عاميا كتب في التفسير بما عنّ له " والظاهر أن كلمة "عاميا" إنما تعني أنه قد أملى تفسيره على تلاميذه بشيء من البساطة في العبارة، أو أنه كان غير عميق في معانيه فظهر لمن اطلع عليه أن صاحبه عامي الثقافة "[1].

والظاهر أن هذا المسلك التفسيري للشيخ البهلول الزواوي ربما يذكر المرء بالتفسير الجماهيري الإجمالي الذي كان ينتهجه الشيخ الشعراوي في دروسه التفسيرية كما هو ملاحظ ومشاهد من التسجيلات الموجودة.

المطلب الخامس: الاتجاه العلمي.

- **محمد بن علي الشريف الشلاطي:** يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله مبينا اتجاه الشلاطي في التفسير بالنظر للعلوم التي نبغ فيها وهي الفلك والتاريخ: " وفي هذا الصدد نذكر أن ابن علي الشريف الشلاطي (محمد بن علي) قد ذكر أن من بين تآليفه عملا بعنوان (تفسير الغريب للمبتدئ القريب) وهو عنوان غامض لا نفهم منه بالضرورة أنه في تفسير القرآن الكريم، كما لا نفهم منه أنه موجه إلى الطلاب المبتدئين في هذا الميدان. فإذا صح أن هذا العمل هو تفسير للقرآن بطريقة بسيطة فإن مؤلفه قد يكون لجأ فيه إلى المعلومات التاريخية والفلكية، لأنه قد ألف أيضا في التاريخ الإسلامي والفلك "[2].

وبحق فالشيخ الشلاطي الزواوي عاش أغلب حياته في زمن الإستعمار ودخول مخلفات الحضارة الغربية للجزائر على يد المفكرين الغربيين مع مصادفة الثورة الصناعية والنهضة الأوروبية كل هذه مؤشرات إضافية على تخمينات الشيخ سعد الله تجعلنا نغلب الظن في سلوك الشيخ محمد بن علي هذا الاتجاه التفسيري.

خاتمة:

وبعد هذا العرض العلمي والمنهجي لمحتوى البحث الموسوم بـ ((ملامح اتجاهات التفسير عند الجزائريين إبان الحكم العثماني – قراءة تحليلية لتراث الحقبة العثمانية في الموسوعة الثقافية لأبي القاسم سعد الله –)) نخلص لجملة من النتائج والتوصيات نجملها في ما يلي:

---

[1] تاريخ الجزائر الثقافي: 20/2.

[2] المصدر نفسه: 20/2.

- الغالب على اتجاهات التفسير الجزائرية في الفترة العثمانية الاتجاه الصوفي والاتجاه اللغوي المتمثل في الاتجاه النحوي والاتجاه البياني والاتجاه الأدبي.
- تصورات الدكتور أبو القاسم سعد الله حول اتجاهات التفاسير الجزائرية حتى ولو كانت تخمينات ومجرد ظنون، إلا أنها تعطي لمحة حولها خاصة في ظل فقدان أغلب هذا التراث.
- اعتمد الدكتور سعد الله على جملة من المصادر للحكم على اتجاهات التفسير في الجزائر منها: كتب التراجم والتاريخ والمخطوطات والأحوال السياسية والثقافية السائدة إضافة إلى ثقافة المفسر ومؤلفاته.

التوصيات:

كما أوصي الباحثين بضرورة:

- تسليط الضوء على جهود الشيخ سعد الله في الإشارة إلى أماكن مخطوطات التراث الجزائري ومحاولة فهرستها حتى يسهل على الباحثين وجودها.
- إفراد تعقبات ومناقشات الدكتور عيساوي للشيخ سعد الله حول مناهج المفسرين الجزائريين واتجاهاتهم ببحث مستقل، ولولا خشية إطالة هذه الورقات لأثبتها في هذا البحث، ولكن حسبي أن أشرت إلى ضرورة إفرادها بمقال أو مذكرة في مرحلة التدرج، والله من وراء القصد.

قائمة المصادر والمراجع:

- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن سالم مخلوف، ط:1، تع: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ-2003م.
- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر: عادل نويهض، ط:2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والنشر والترجمة، بيروت، دت .
- نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان: ابن زاكور الفاسي، دط، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: محمد الأمين المحبي الحموي الدمشقي، دط، دار صادر، بيروت، دت.
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات: محمد عبد الحي الكتاني، تح: إحسان عباس، ط:2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م.
- فتح الإله ومننه في التحدث بفضل ربي ونعمه: أبو راس المعسكري، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، تق: أبو القاسم سعد الله، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط:3، دار القلم، دمشق، 1429هـ – 2008م.
- التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، دط، مكتبة وهبة، القاهرة، دت.
- التحرير في أصول التفسير: مساعد بن سليمان الطيار، ط:5، مطبوعات معهد الإمام الشاطبي للقرآن وعلومه، جدة المملكة العربية السعودية، 1440هـ – 2019م.
- شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية: أبو القاسم سعد الله، ط:1، در الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ – 1986م.
- جهود علماء الجزائر في علم التفسير زمن العهد العثماني: عبد الغاني عيساوي، رسالة دكتوراه بجامعة باتنة 1، نوقشت في الموسم الجامعي 2016/2015م.
- تعريف الخلف برجال السلف: محمد الحفناوي، دط، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، دت.
- بحوث في أصول التفسير ومناهجه: فهد الرومي، ط:4، مكتبة التوبة، الرياض، 1419هـ.
- مصطلح الاتجاه في التفسير والفرق بينه وبين المنهج والأسلوب: مراد قمومية، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد: الثاني، المجلد:19، أكتوبر 2018م.
- تاريخ الجزائر الثقافي: أبو القاسم سعد الله، ط:1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.